حراسة العفاف

﴿تدبّر سورة النور﴾

م. علاء حامد

ملخص المحاضرة الخامسة

علاء حامد

من حكمة الله سبحانه وتعالى أن يحصل هذا الحادث "حادثة الإفك" وتنزل معه الأحكام حتى تكون النفوس أكثر تشوقاً للأحكام وحتى يعلم الناس أهمية هذه الأحكام وإن بدون هذه الأحكام -أحكام القذف ونحو ذلك- كم من الفساد العريض يمكن أن يقع فيه المجتمع إذا لم تكن هناك هذه الأحكام.

هل الآيات نزلت قبل الحادثة

لا نزلت مع نزول آيات تبرئة عائشة رضي الله عنها وأرضاها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}

موضوع السورة أصلاً بيتكلم على موضوع الفاحشة و الزنا و موضوع هذه الأشياء و طبيعة هذه المعصية عموماً أنها لا تأتي مرةً واحدة

هذه المعصية لا تأتي إلا بخطوات متتالية فلذلك كان مناسب أن يأتي في هذا الموطن تحذير المؤمنين من إتباع خطوات الشيطان

قاعدة أسمها سد الذرائع : سد الطرق التي تؤدي للوقوع في الفاحشة

أمثلة على سد الذرائع:

1. حجاب المرأة المسلمة.
2. تحريم المصافحة بين الرجل والمرأة.
3. غض البصر.
4. تحريم الخلوة بين الرجل والمرأة.
5. الأمر بستر العورات.

6. تحريم سفر المرأة بدون محرم.

7. أحكام الإستئذان.

بنسد الباب علي مجموعة خطوات وهذه الخطوات اذا تم التساهل فيها فإن الواحدة تجر إلى الأخرى ثم يصل الأمر في النهاية إلى ما لا يحمد عقباه ، حتى لو كان الأمر يصل إلى ما لا يحمد عقباه في نسبة معينة ممن يقع في هذا الطريق فهذه النسبة تكفي للمنع حماية للمجتمع كله

فأي خلل في الأبواب اللتي جاءت الشريعة بسدها هو متهم على طول

سد الذرائع + مراعاة الحاجة.

بمعنى : منهجية الشريعة في التعامل مع قضية الفاحشة بتراعي حاجتين مع بعض

الحاجة الأولى: سد الذرائع.

الحاجة الثانية: مراعاة الحاجة.

تجد إن الأمور التي سدت منعاً لباب الفتنة تفتح فوراً عند الحاجة

فمثلاً لا يجوز النظر للمرأة ولكن

هتلاقي في تساهل عند الخاطب إذا أراد يخطب .. هتجد تساهل في نظر الرجل للمرأة في هذه الحالة

ممكن القاضي ينظر للمرأة

مثلاً لو مرأة داخله في تجارة كبيرة وهتعمل عقد كبير مع شركة كبيرة ومحتاجين يتأكدوا من شخصيتها يجوز ذلك

المشقة تجلب التيسير

{لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ} لأن الشيطان يتدرج مع الإنسان في القضية دي بالذات.

النبي عليه الصلاة والسلام قال : "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك"

أحد السلف: "إذا رأيت الرجل عنده ذنب فاعلم أن له أخوات"

فإن الذنب يأتي بالذنب ودي مشكلة التدرج.

{وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ}

{ فَإِنَّهُۥ} السؤال الآن الهاء عائدة على من ؟

{ٱلشَّيْطَٰنِ} المتبادر للذهن وده أحد الأقوال فعلاً وده قول طبيعي

مهو الشيطان بيأمر بالفحشاء والمنكر.

لكن في قول أقرب من كده وهو القول المخيف {فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ} أن المقصود المتبع نفسه تتبعوا خطوات الشيطان اللي هو {وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ}

{ فَإِنَّهُۥ} يعني هو الشخص المتبع ده هيؤول أمره في النهاية إلى أن يأمر بالفحشاء والمنكر

{وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا}

الأن هذه الخطوات من الذي يقع فيها ؟

يقع فيها واحد لم يكن يتخيل أنه سيقع!!

لماذا لم يكن يتخيل أنه سيقع؟

لأنه يري نفسه أنا ملتزم من زمان

أنا لابسة حجاب واسع من زمان

أنا بحفظ قرآن

أنا في دار

أنا بدعو إلى الله

أنا ماسكة مجموعة

أنا

أول ما يوصل للإنسان للأمان ده ويعتمد عليه بدأ يحصل خذلان من الله سبحانه وتعالى له ، ربنا وكله إلى نفسه ، فلما وكله إلى نفسه وقع!!!

لو فهم الرسالة هيرجع يقول يارب ماليش غيرك وهي دي الرسالة اللي إحنا بنقول افهمها لو أنت وقعت ربنا معملش كده علشان يحطمك إنما ربنا عمل فيك كده علشان يأدبك وبيقول لك :

{وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا}

ولذلك النبي عليه الصلاة والسلام كان يقول "اللهم آتي نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها"

وكان يقول : "اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت"

فكل الإستغاثات دي من النبي عليه الصلاة والسلام بتعلمك.

إن أعظم مركب بتركبه في الطريق إلى الله سبحانه وتعالى هو مركب الفقر

وكان ابن تيمية عليه سحائب الرحمة يقول:

أنا الفقير إلى رب البريات ... أنا المسكين في مجموع حالاتي

أنا الظلوم لنفسى وهي ظالمتي ... والخير ان يأتنا من عنده يأتي

لا أستطيع لنفسى جلب منفعة ... ولا عن النفس لى دفع المضرات

والفقر لي وصف ذات لازم أبدا ... كما الغنى أبدا وصف له ذاتي

وهذه الحال حال الخلق أجمعهم ... وكلهم عنده عبد له أتى

فمن بغى مطلبا من غير خالقه ... فهو الجهول الظلوم المشرك العاني

كيف وصلوا هؤلاء الناس ؟ إنما وصلوا بهذا الفقر، لأنهم كانوا دائماً وأبداً فقراء إلى الله.

وهذا إبراهيم عليه السلام يقول : {رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ}

وكان يقول : {وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ }

لذلك هؤلاء الناس فضلوا عمالقة إلى الأبد، (فقر وشكر)

ربنا أختصر قصة إبراهيم في كلمة واحدة

{إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ}

فأعلم أن خير ما تركب إلى الله سبحانه وتعالى فقر وشكر

فهو فقر قبل العمل والشكر بعد العمل

فإذا أردت أن تعمل عمل فافتقر إلى الله ولاتركن إلى نفسك ، وإذا وفقت إليه فقيده بالشكر

فإذا دمت على ذلك فقر وشكر فاعلم أنك ستصل إلى الله من أسرع طريق.

قواعد في التعامل مع خطوات الشيطان:

1) النبي عليه الصلاة والسلام قال : "يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وعليك الثانية" إقفل الباب خالص

ربنا وصف الشيطان في سورة الناس بـ الوسواس الخناس.

الوسواس : يعني هو بيوسوس لك.

والخناس: الذي يفر عند ذكر الله تعالى

الريموت معك أنت ممكن بأفعالك بتساهلاتك باستجابتك تخليه يوسوس

وممكن أنت تخليه خناس بذكرك الله سبحانه تعالى وبإستعاذتك بالله من الشيطان الرجيم هيبقى خناس مثل عمر رضي الله عنه

قال النبي " والله يا عمر ما رأك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً آخر"

2) تراقب الخواطر

3) صاحب الصالحين، تستحي منهم تستحي أن تعصي الله وسطهم.

4) الحصون (إن أنت بتزود فوق الواجب بتعمل مستحبات وفوق المعصية اللي أنت تاركها بتترك معها مجموعة مكروهات)

5) إياك أن تستحقر محقرات الذنوب ، الذنوب الصغيرة

{وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}

هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق

من الذي تكلم في حق عائشة ؟ مسطح

ومسطح يبقى أبو بكر الصديق قريبه ومسطح كان من المهاجرين الفقراء ، وكان أبو بكر الصديق يتصدق عليه

فلما علم أبو بكر الصديق أن مسطح تكلم في عرض عائشة أقسم بالله تعالى ألا ينفق على مسطح مرة ثانية

قال : والله لا انفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال في حق عائشة.

مسطح بعد ذلك تاب وأقيم عليه الحد خلاص أقيم عليه الحد وتاب ولكن أبو بكر حلف خلاص ومش هيرجع في حلفانه ومش قادر يرجع في حلفانه

فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية

{وَلَا يَأْتَلِ} يأتل يعنى يحلف

حديث الراجل اللي كان طائع وبيعدي على أخوه عاصى ، و كل شوية ينصحه في الآخر لما زهق منه.

قال : والله والله لا يغفر الله لك.

فقال الله : من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان قد غفرت له وأحبط عمله.

يتألى : يعني يحلف علي

{وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ}

لما ربنا سبحانه وتعالى أراد أن يخاطب أبو بكر لم يخاطبه بإسمه وإنما خاطبه بصفته فأبو بكر عند الله سبحانه وتعالى من أولو الفضل والفضل هي الزيادة

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال عن أبو بكر الصديق : "ما من أحدٍ له يد علينا إلا كافأناه بها إلا أبو بكر له يد علينا يكافئه الله تعالى بها"

الإنسان كم يحب أبا بكر الصديق!

والله يقف الإنسان أمام هذه الشخصية يشعر أنه ما أسلم ، يشعر أنه قزم ، يشعر أنه لا شيء ، يشعر أنه هباء مقابل جبل وأنت أمامه كالهباءه تنظر إليه وما عندك أي وسيلة إنك أنت تنافس هذا الجبل لكن إلا الرجاء في الله سبحانه وتعالى أن يحشرك معه لأنك تحبه فقط.

أنس رضي الله عنه وأرضاه لما قال النبي عليه الصلاة والسلام : "يحشر المرء مع من أحب"

فقال أنس: "والله ما فرحت بعد إسلامي بحديث كما فرحت بهذا الحديث فإني أحب النبي وأحب أبا بكر وعمر وأرجو أن احشر معهم"

فهذا أنس فكيف الحال بنا نحن نتقرب إلى الله بحب أنس أصلاً ، أنس إحنا نتمنى أننا نكون مع أنس.

ما عندنا إلا الحب لهؤلاء نحب عمر نحب عثمان نحب علي نحب أنس نحب النبي عليه الصلاة والسلام نسأل الله أن يحشرنا معهم يا رب.

ولا عجب أن ربنا سبحانه وتعالى في موطن آخر سماه الأتقى في سورة الليل كما قال تعالى :

{فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ * لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى * ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى}

بإجماع العلماء والمفسرين أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق

فيجنبها الأتقى مش التقي نمرة واحد {ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ} ربنا زكاه بالإخلاص .

{وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ * إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ}

ربنا قال على أبي بكر الصديق : {وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ}

وبعدها في سورة الضحى قال على النبي عليه الصلاة والسلام {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ} والسورتين دول وراء بعض

لذلك كان أحد المفسرين بيقول : من لطائف أقتران سورة الليل بسورة الضحى أن يعلم أنه لا يوجد أحد بين النبي ﷺ وبين أبي بكر الصديق في هذه الأمة!!

{وَٱلْمَسَـٰكِينَ} مين المساكين هنا ؟ مسطح كان مسكين

{وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ} وهنا ربنا سبحانه وتعالى زكى مسطح خد بالك

لأن بردو من اللطائف وكأن الله سبحانه وتعالى بردو يهيئ أبي بكر الصديق لكي يعفو عن مسطح ربنا سماه والمهاجرين في سبيل الله.

{وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟} الله سبحانه وتعالى ودود يتودد إلى عبده رغم أنه غني عنه رغم إن ربنا لا يلزم إن هو يقول كل هذا الكلام عشان يطلب من عبد شيء ولكن الله ودود

ورغم إن أبو بكر الصديق مش محتاج كل ده أبو بكر الصديق كان يكفيه الأمر المباشر، لكن الله ودود يتودد إلى عباده بهذه الكلمات.

ربنا سبحانه وتعالى لما مسطح تاب قبل منه ، بل وطلب من أبو بكر الصديق كمان أن يعفو عنه ، وربنا أنزل هذه الآية وفيها تودد للعفو عن مسطح إذا ربنا عفا عن مسطح خلاص

فأنظر إلى رحمة الله بعبده مسطح وانظر إلى محبة الله للتائبين فأنزل آية من أجل أن يعفو عنه هذه الآية تجعل الإنسان يحب الله سبحانه وتعالى.

{أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}

سبحان الله أبو بكر لما نزلت هذه الآية قال : "بلى يا رب نحب أن تغفر لنا بلى يا رب نحب أن تغفر لنا فرجع إلى إكرام مسطح وانفق عليه أكثر مما كان ينفق عليه وقال : والله لا انزع عنه هذه النفقة أبداً أبداً"

ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء.

إذا أردت أن يعاملك الله بأمر فعامل العباد أنت وأبدأ بهذا الأمر.

قاعدة في الشرع:

العفو المحبب في الشرع هو العفو الذي يترتب عليه إصلاح.

لما أذنب مسطح مرة واحدة في حق عائشة لم يتحمل أبو بكر أن يسامحه من تلقاء نفسه والله جل في علاه يسب ليل نهار ولا يقطع رزقه عن عباده رزقه أبداً فما ارحمه سبحانه وتعالى.

ألا تستحيون من الله سبحانه وتعالى أن يكون خيره إليكم نازل وشركم إليه صاعد ؟!

{إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}

اللي بيرمي المحصنة المرأة العفيفة

الغافلات اللي هو ما بتجيش في بالها أصلاً المعصية دي أبعد ما تكون عن المعصية حتى هي نفسها غافلة عنها

المؤمنات اللي هي مؤمنة تقية

{لُعِنُواْ} يعني طردوا من رحمة الله في الدنيا والآخرة.

{يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}

ليه ربنا ذكر الألسنة والأيدي والأرجل ؟ لأن دى لها علاقة بجريمة القذف دائماً فاللسان هو الذي يتكلم وينطق واليد هي التي تشير والرجل هي التي تسعى إلى مجالس الناس لإبلاغهم بالقذف

وإن كانت الجوارح كلها تشهد على الإنسان لكن ناسب المقام ذكر اللسان والايدي والأرجل.

وعن أنس ابن مالك قال: "كنا عند النبي عليه الصلاة والسلام فضحك

فقال عليه الصلاة والسلام : هل تدرون مما أضحك ؟

قلنا : الله ورسوله اعلم.

قال : من مخاطبة العبد ربه يقول : يا رب ألم تجرني من الظلم؟.

قال : بلى

فيقول : فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني

فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً

قال : فيختم على فيه فيقال لأركانه إنطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل

{ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}

الآية بها خلاف تنوع

تفسير بجزء من المعني (أن الطيب يتزوج طيبة) ولكن ليس المعني الكامل

هنا المعنى واسع هنا الأعمال الخبيثة للناس الخبيثة والكلمات الخبيثة للناس الخبيثة والاعمال الطيبة للناس الطيبة والكلمات والافعال الطيبة للناس الطيبة وهكذا والطيبون من الرجال للطيبات من النساء وان الطيبات من النساء للطيبين من الرجال فكل هذه المعانى مناسبة.

لكن المعني الأنسب هي الأفعال والأقوال لأن مسألة الرجال والنساء قد يحصل فيها استثناء

فبنقول : أن الأعمال والاقوال الطيبة مناسبة للناس الطيبين.

والأعمال والاقوال الخبيثة مناسبة للخبيثين

فالله سبحانه وتعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء

ربنا لما بيضع الطيب في الطيب هو مش بيعمل كده إجباراً إنما علم أن هذه الأرض الطيبة يصلح لها الطيب.

ولما هدى الخبيث للأعمال الخبيثة لم يجبره على ذلك

تأكدنا من براءة عائشة لأن عائشة زوج النبي عليه الصلاة والسلام فلا يتصور منها ذلك.

انظر إلى ما تهدى إليه ما الذي يهديك الله إليه ؟ وما هي الأبواب التي تفتح لك ؟

إذا وجدت إنك هيفتح لك أبواب الطيبات فاستبشر

استبشر لكن لا تغتر

استبشر لكن لا تعجب

استبشر لكن لا تتكل على نفسك

وإنما أزداد افتقاراً وسل الله التثبيت وسل الله الإستعمال والإستخدام ، أسأل الله أن يتوفاك على ذلك (إذا أردت أن تعرف مقامك فأنظر أين أقامك)

أما إذا وجدت نفسك تميل إلى الخبيثات وتيسر لها دائماً الخبيثات تقلق جداً وهذا يجعلك تحاول ترجع بسرعة جداً تحاول تقفل الأبواب دي بسرعة طالما ربنا هداني إلي التوبة طالما ربنا فتح لي تاني باب الخير يبقى أنا إن شاء الله طيب

إن الله سبحانه وتعالى عدل يضع الشيء في موضعه وحكيم أن يضع الشيء في موضعه.

قال النبي ﷺ : "إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن"

{أُوْلَـٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } براءة عائشة

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.